

## الفصل الثالث

# الجن

فليستعد القارئ الآن لأن يبدأ القيام برحلة إلى الماضي السحيق على أجنحة الخيال العلمي للكشف عن طبيعة وشخصية الجن. وقد سبق أن تطرقنا باختصار إلى موضوع فكرة القرآن عن الجن، وذلك في الفصل الأول من هذا الباب الخامس بعنوان: **الحياة من منظور الوحي القرآني**. وتذكر المعاجم العربية المعاني التالية لكلمة "جن"، وهي تدل حرفياً على كل شيء يتصف بصفة الخفاء أو الاختفاء، أو الانعزال، أو البعد، كما يدل أيضاً على الأطياف القائمة والظلال المعتمة. ولهذا استعمل القرآن لفظ "جنة" التي تعني حديقة كثيفة الأشجار.. للتعبير عن فردوس الآخرة، وذلك لأن كثافة أشجار الحديقة تخفي الأرض وتلقي عليها ظلالاً كثيفة. وينطبق أيضاً لفظ "الجن" على الحيات والثعابين، لأن من طبيعتها أن تظل في خفاء عن الأنظار، وتعيش حياة منعزلة عن بقية الحيوانات في شقوق الصخور وحُفَر الأرض. كذلك فإن نفس اللفظ يُطلق على النساء اللواتي تنعزل في خدورها عن مخالطة الناس، وأيضاً تنطبق على القادة وعلية القوم الذين يُفضلون الانعزال عن عامة الناس. كذلك فإن اللفظ يُطلق أيضاً على سكان الجبال الوعرة التي يصعب الوصول إليها، لانعزالهم عن المجتمع البشري العادي. وعلى هذا.. فإن كل ما يظل بعيداً عن أعين الناس عامة والنطاق المباشر لرؤية العين المجردة يمكن أن يُطلق عليه لفظ الجن.

ويؤيد هذا المعنى أيضاً حديث شريف للرسول ﷺ ينصح فيه الناس بعدم الاستنجاء بكتلة من الروث أو بعظام الحيوان الميت حيث إنها طعام الجن. وكما أننا نستخدم الآن "أوراق التواليت" .. كان الناس في القديم

يستعملون كتلة من الأرض، أو بعض الأحجار، أو أي شيء جاف يكون في متناول اليد لتنظيف أنفسهم. ومن هنا يمكن استنباط أن ما كان يعنيه الرسول ﷺ بلفظ الجن لم يكن سوى الكائنات غير المرئية التي تتغذى على الروث، وعلى العظام العفنة، وما شابه ذلك. ولنتذكر أن فكرة البكتريا والفيروسات وغيرها لم تكن موجودة عندئذ، ولم يكن لدى أحد أدنى تصور عن وجود كائنات متناهية في الصغر لا تستطيع العين المجردة أن تراها. ومما يثير العجب حقا أن الرسول ﷺ كان يعني هذه الكائنات الدقيقة غير المرئية باستخدام لفظ الجن، فليس في اللغة العربية لفظ يصلح لوصف تلك الكائنات أفضل من لفظ الجن.

والقرآن الكريم يشير أيضا إلى أمر هام يتعلق بخلق الجن، فيذكر أن الجن قد خُلق قبل خلق الإنسان، وأنه خُلق من نار السموم، فقال:

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر: ٢٨)

وصفة «السَّمُومِ» المذكورة هنا تصف طبيعة تلك النار التي خُلق الجن منها، وتعني النار المتقدة، أو آفة نارية ليس لها دخان! . ونجد أيضا في الكتاب العزيز آية أخرى مشابهة تقول:

﴿وَخَلَقَ الْجَانَ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ (الرحمن: ١٦)

ولنحاول الآن أن نفهم هاتين الآيتين اللتين ذكرتا خلق الجن من النار.. بعد أن نضع في الاعتبار مقصود الرسول ﷺ في استعمال لفظ الجن للتعبير عن الكائنات الدقيقة كالبكتريا والفيروسات وغيرها. وأول ما يخطر على البال هو تلك الكائنات الدقيقة التي تستمد الطاقة اللازمة لاستمرار وجودها مباشرة من سخونة الصواعق البرقية "السموم"، وطاقة الإشعاعات الكونية.

ولا يسع ديكرسن سوى أن يتفق من حيث لا يدري مع ما يذكره

القرآن المجيد حيث يقول عن معظم الكائنات الحية في الأزمنة السحيقة:  
"... كانت تعيش على الطاقة المنبعثة من البرق والأشعة فوق  
البنفسجية"<sup>٢</sup>.

إن منظور الإشعاع الكوني هذا لم يذكره أحد من العلماء الذين  
يبحثون موضوع وجود الكائنات في الأزمنة السحيقة قبل نشوء الحياة  
المعقدة، غير أنهم أيضا أيدوا فكرة أنه مهما كانت نوعية الكائنات التي  
كانت موجودة قبل نشوء الحياة المعقدة، فلا بد أنها كانت تستمد الطاقة  
اللازمة لها من الحرارة مباشرة. وبين جميع مجموعات البكتريا التي صنفها  
العلماء على أنها أقدم ما وُجد من البكتريا.. لم يذكر علماء الأجيال  
السابقة سوى نوعين اثنين فقط هما بروكاريوتس وإيوكاريوتس  
(prokaryotes and eukaryotes). غير أنه قد تبين أن الرأي الذي يقتصر  
على نوعين فقط من البكتريا كان رأيا متسرعا من وجهة نظر كارل ر.  
ووز (Karl R. Woese) وزملائه حيث قالوا:

"بساطة شديدة.. لأن هناك نوعين من الخلايا على المستوى  
الميكروسكوبي لا يعني هذا أنه يجب أن يكون هناك نوعان فقط على  
المستوى الجزيئي"<sup>٣</sup>.

ولعله من المفيد للقارئ العادي أن نذكر أن التعريف البسيط للفرق  
بين نوعي البكتريا المعروفين باسم بروكاريوتس وإيوكاريوتس هو وجود  
أو غياب النواة فيهما. فرغم أن نوع بكتريا البروكاريوتس يتميز بوجود  
غشاء رقيق ومحدد، إلا أنها لا تحتوي على نواة بشكل واضح. أما بكتريا  
الإيوكاريوتس فهي تحتوي على نواة محددة وواضحة المعالم ومستقرة في  
وسط كل خلية.

كان هذان النوعان يُعتبران النوعين الوحيدين من أشكال البكتريا التي  
كانت موجودة في الأزمنة السحيقة، والتي تولد منها أنواع أخرى  
وتطورت في شكل كائنات يمكن أن تعتبر الأسلاف القديمة للحياة. غير  
أن ووز نشر نتائج أبحاثه الرائدة في مجلة *Scientific American* الصادرة في

يونيو (حزيران) من عام ١٩٨١ قائلًا إن الأركيكتريا Archaeobacteria يمكن أن تعتبر بحق أول أشكال الكائنات. وذكر هو ومؤيدوه للمجتمع العلمي أن هذا النوع هو نوع ثالث متميز، وقد سبق في وجوده جميع الأشكال الأخرى. وعلى هذا فإن هذا النوع هو الذي يجب اعتباره أقدم الأسلاف للحياة. واستمر وُوز ومؤيدوه في تقديم وابل من الدلائل القوية على هذا الكشف حتى بدأت الأغلبية من العلماء تميل إلى رأيه، مما جعل وُوز يكتب قائلًا:

"رغم أن القلة من علماء البيولوجيا لا تزال تجادل في تفسيراتنا، فإن فكرة أن الأركيكتريا تمثل تجمعًا متميزًا على أعلى مستوى.. قد صارت فكرة مقبولة بشكل عام".<sup>٤</sup>

وكتب أيضًا يقول:

"وهذا يعني أن مجموعة الميثانوجن methanogens تماثل في القدم، أو هي أقدم من أي مجموعة أخرى من البكتريا".<sup>٤</sup>

وحسب ما جاء في قاموس هتشينسن للعلوم *The Hutchinson*

:*Dictionary of Science*

"... الأركيكتريا هي أقدم أشكال الحياة التي ظهرت منذ حوالي أربع مليارات من السنين، حين لم يوجد في جو الأرض سوى القدر القليل من الأكسجين".<sup>٥</sup>

ولكن صاحب مؤلف *Genetics A Molecular Approach* يقول:

"منذ عام ١٩٧٧ أمكن اكتشاف الكثير والكثير من الفوارق والاختلافات بين الأركيكتريا وأنواع البروكاريوتس الأخرى، كانت من الكثرة بمكان حتى إن علماء الميكروبيولوجيا صاروا يفضلون الآن استعمال لفظ أركيا للتأكيد على أن هذه الكائنات هي نوع يختلف عن البكتريا".<sup>٦</sup>

ويبدو أن هذا التوصيف المذكور ينطبق على الكائنات التي وُصفت في القرآن بلفظ "الجن". ولكن بالرغم من أن العلماء يعتبرون بالإجماع أن

لدى هذه البكتريا القدرة على استخراج الطاقة اللازمة لها من الحرارة، إلا أن أحدا من العلماء غير ديكرسن لم يذكر أنها قد خلقت مباشرة في الأصل من الأشعة الكونية ومن ضربات البرق، غير أن الباقيين على أية حال لا يزالون يكشفون النقاب عن الكثير من الأسرار التي تنجلي من خلال البحث العلمي.

"... في الثقوب الأرضية التي تتدفق منها الحمم تحت البحر، وفي الينابيع الحارة، وفي البحر الميت، وفي الأماكن المشبعة بالملح، بل إنها تكيفت لعدم قبول غذاء".<sup>٧</sup>

وأما فيما يتعلق بتوغل هذا النوع في القدم، فليس لدى وُوز ومؤيديه أي شك بتاتا في أن الأركيكتريا هي أقدم الأنواع على الإطلاق، بينما لا يستبعد بعض من العلماء أن تكون قد تطورت في نفس الوقت أيضا عن أنواع أخرى مجهولة.

ولكن هذه كلها أمور تقع خارج نطاق هذا البحث. فسواء كانت الأنواع الأخرى من البكتريا قد نشأت عن هذا النوع أم لا.. أمر ليس على درجة من الأهمية بالنسبة لمناقشتنا للموضوع. فالمهم هو أن جميع أشكال البكتريا القديمة كانت تستخلص الطاقة اللازمة لها من الحرارة مباشرة.. ولا شك أن هذه الحقيقة العلمية لها قيمتها في إعلان عظمة البيان القرآني الذي جاء منذ أكثر من أربعة عشر قرنا وقال:

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر: ٢٨)

وحسب الدراسات العلمية المقبولة والمعترف بها، فإن الحرارة المباشرة من النار قد لعبت دورا هاما وحيويا في خلق واستمرار حياة الكائنات في العصور السحيقة قبل تكوين الحياة المعقدة. وفي الواقع كان هذا هو الشكل الوحيد المتاح لاستخلاص الطاقة اللازمة لحياة هذه الكائنات في تلك المرحلة. ومع تكاثرها المستمر بغير انقطاع على مدى ألوف الملايين من السنين، فلا بد أن موتها قد لَوَّث مياه البحار بعد أن تحللت وتخرمت

وحولت مياه البحر إلى حساء هيوولي. وهذا ما سوف نبخته بتفصيل أكثر  
في الفصل القادم.

\*\*\*\*\*

## المراجع

1. LANE, E.W. (1984) *Arabic-English Lexicon*. Islamic Text Society, William & Norgate. Cambridge.
2. DICKERSON, R.E. (September 1978) *Chemical Evolution and the Origin of Life*. Scientific American, p.80
3. WOESE, C.R. (June, 1981) *Archaeobacteria*. Scientific American, p.104
4. WOESE, C.R. (June, 1981) *Archaeobacteria*. Scientific American, p.114
5. *The Hutchinson Dictionary of Science* (1993) Helicon Publishing Ltd., Oxford. p.37
6. BROWN, T.A. (1992) *Genetics A Molecular Approach*. Chapman & Hall. London, p,245
7. *The Hutchinson Dictionary of Science* (1993) Helicon Publishing Ltd., Oxford. p.37